

ملف القدس

انتزاع أراضي القدس

وأوراق اعتماد ناتان شرانسكي الديمقراطية*

افتتاحية

شكل قرار الحكومة الإسرائيلية بالتراجع عن سياستها السابقة المتعلقة بالاستيلاء على أراضي القدس، التي يمتلكها الفلسطينيون المقيمون بالضفة الغربية (ما يسمى "أراضي الغائبين")، نصراً رمزياً للفعالية الممتزجة بالدبلوماسية. وقد اتخذ القرار ظاهرياً استجابة لمذكرة المدعي العام، مناحم مازون، الذي وصف الخطة بأنها "تعارض مع التزامات إسرائيل بموجب القانون العرفي الدولي"، لكنه جاء في الواقع نتيجة ضغوط مشتركة من مئات من المزارعين والملاك المتأثرين في بيت لحم والقدس ورام الله، ونتيجة للتدخلات التي قام بها الرئيس الفلسطيني الجديد، محمود عباس (بعد لقائه المبعوث الأميركي، ولیم بيرنز، في نهاية كانون الثاني/يناير)، فضلاً عن جمعيات حقوق الإنسان الإسرائيلية والفلسطينية.

وقد أطلق وزير شؤون القدس، ناتان شرانسكي، الخطة، التي تسميها تلك المجموعات "انتزاع الأرض" و"السرقة المقننة"، في 22 حزيران/يونيو 2004، وأقرتها الحكومة الإسرائيلية في 8 تموز/يوليو. وهي تهدف إلى تطبيق قانون أملاك الغائبين لسنة 1950، الذي صودر بموجبه مجمل الأراضي العربية من اللاجئين الفلسطينيين بعد حرب 1948 ونقل إلى المهاجرين اليهود. وكانت آلاف الدونمات من أراضي الفلسطينيين في مدينة القدس ستخضع للسيطرة الإسرائيلية لأن ملاكها يقيمون الآن بمناطق يمنع سكانها من دخول المدينة، بما في ذلك الأحياء العربية في القدس. ولاحظ كثيرون من الخبراء القانونيين أن هذه الأنظمة، التي سنّت بذريعة المخاوف الأمنية، كان القصد منها في الواقع توسيع مساحة الأرض المصادرة حول القدس. يضاف إلى ذلك إنشاء جدار "الفصل"، الذي صُمم مساره بحيث يحقق الحد الأقصى من فصل الفلسطينيين عن أراضيهم. وقد غيرت قرارات صدرت مؤخراً عن المحكمة العليا الإسرائيلية الحدود المخططة أصلاً للجدار، لكنها لم تسلط الضوء - إلى حد كبير - على نية انتزاع الأرض، أو تغيير هذه النية، مثلما فعلت محكمة العدل الدولية في لاهاي.

ويتعلق أحد أكثر جوانب المعركة الجارية بشأن مصادرة الأراضي تأمراً وخداعاً بالدور المريب للوزير شرانسكي. فمنذ وصول هذا السياسي السوفياتي المهاجر إلى إسرائيل قبل عقدين من الزمن، انخرط بكثافة في قضايا الجناح اليميني المتشدد ومخططات الاستيلاء على الأراضي. وباعتباره زعيم حزب يسرائيل بعلياه الإسرائيلي، المتكون من الإثنية الروسية، ووزيراً سابقاً للإسكان، بادر إلى صوغ قرارات الحكومة بسجن الصحافيين المنشقين وطرد الناشطين السياسيين والبدء بإغلاق المؤسسات الفلسطينية في القدس. وقد استقال من وزارة الداخلية في حكومة إيهود براك، في تموز/يوليو 2000، في أثناء مفاوضات كامب ديفيد عندما ذاع خبر قرب توصل براك إلى اتفاق سلام. وكان عندئذ، ولا يزال، يعارض بشدة الانسحاب الإسرائيلي من الأحياء العربية في المدينة (أو من أي مكان آخر من الأراضي المحتلة). كما أطلق أيضاً حملة لإعادة صوغ الكتب المدرسية الفلسطينية بحيث تلمس الإشارات إلى تاريخ إسرائيل القائم على السيطرة الاستيطانية ومصادرة الأراضي، وذلك تحت ستار إلغاء "المراجع المعادية لإسرائيل".

وفي الولايات المتحدة استخدم شرانسكي بفعالية سمعته السياسية كمنشئ سوفياتي سابق ومدافع عن حقوق الإنسان (اليهودي). ولقي دعماً قوياً لجلب المهاجرين الروس (مسيحيين ويهوداً) إلى مستعمرات في الأراضي المحتلة (غيلو ونفي يعقوف وأريئيل). ويقف شرانسكي اليوم على رأس أشد الاتجاهات تطرفاً في السياسة

الإسرائيلية، ويشن حملة شديدة على خطة أريئيل شارون الرامية إلى سحب الجيش الإسرائيلي من قطاع غزة. هذه الخلفية غير معروفة عملياً خارج إسرائيل. وقد صَفَّقَ له مؤخراً الرئيس بوش لـ "دفاعه عن الديمقراطية". وكان كتاب شرانسكي الأخير "الحجة من أجل الديمقراطية: قوة الحرية في التغلب على الاستبداد والإرهاب" (بحسب صحيفة "واشنطن بوست") ملهماً لخطاب بوش في حفل تنصيبه رئيساً ولخطابه عن حالة الاتحاد. ويظهر شرانسكي بانتظام في دوائر الكونغرس والحكومة، ويقال إنه يستطيع دخول البيت الأبيض من دون أي عائق. لهذا السبب تعتبر هزيمة مخطط انتزاع الأراضي في القدس مهمة، حتى لو كانت نصراً مؤقتاً. فهي تؤشر إلى هزيمة لخطر القوة، وتكشف عن الشخصية السياسية الحقيقية لشرانسكي كفاتح يتظاهر بالدعوة إلى حقوق الإنسان. وثمة درس مهم يستقى هنا، وهو أن اجتماع النشاط السياسي، عندما يُستخدم بفعالية مع الدبلوماسية، يمكن أن يحدث فارقاً. قد يكون ذلك انتصاراً مؤقتاً، لكنه انتصار يسلط ضوءاً جديداً على النضال من أجل حرية القدس وفلسطين. ■

(*) المصدر: *Jerusalem Quarterly File*, nos. 21 & 22 (April 2005), pp.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx